

الباب الثالث

لمحة عن جلال الدين السيوطي وكتابه

أ. جلال الدين السيوطي ونظريته عن مناسبة القرآن

الحافظ عبد الرحمن بن كمال أبي بكر بن محمد بن سبيق الدين الهمام السيوطي. يلقب بجلال الدين وكنيته أبو الفضل. ولد في قرية سيوط، في ليلة الأحد بعد المغرب تصادف شهر رجب سنة ٨٤٩ هـ. كان يتيما وتوفي والده في السادسة من عمره، أما والدته فقد توفيت بعد وقت قصير من ولادته. عاش في زمن دولة المماليك البرجية أو الجراكسة.^١ كان والده فارسيا ومدرسا للمذهب الفقهي الشافعي بمسجد خنقة شيخو بالقاهرة.^٢ وكانت والدته من الشراكسة، وهي مجموعة عرقية تقع في شمال القوقاز على طول الساحل الشمالى الشرقى للبحر الأسود. عند تقاطع أوروبا الشرقية وغرب اسيا بين البحر الأسود وبحر قزوين. معظم الناس هناك يعتمدون بعقيدة أهل السنة والجماعة. في غضون، وفقا للسيوطي أن أجداده من قبيلة الخضرية ببغداد، ثم انتقلت عائلته

^١تعرف هذه الفترة بعصر الظلم بما يعيش السيوطي في خضم الاضطرابات السياسية، سواء شاء أم أبى يقابل اثرها.ومن ناحية الإجتماعية، كان المجتمع في ذلك الوقت معروفا بحالته المشقة وغير مستقرة. وكان المجتمع في ذلك الوقت منقسما إلى عدة مستويات متصارعة ومعادية، ولم يكن هناك أي ارتباط يجمعهم. انظر: جلال الدين السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ٥-٣.

^٢جلال الدين السيوطي، *الرسالة السلطانية*، ترجمة: بحر الدين أحمد (باكاسي: فوستاكا المقسط، ٢٠٢١)، ٢.

إلى السيوط بمصر، ولذلك يحمل نسبة السيوط.^٣ ولقب السيوطي بابن الكتب لأن عند ما ولد وضعت والدته على كتب والده.^٤

كان السيوطي أتم حفظ القرآن قبل أن يبلغ السادسة من عمره. ثم حفظ الكتب التي تيسرت عليه، مثل العمدة، ومنهج الفقه، والأصول، وألفية لابن مالك. وفي السادسة عشرة، درس النحو والفقه على كثير من المعلمين. في علم الفرائض، درس مع شيخ شهاب الدين السرمانحي. وفي الفقه درس أيضا على شيخ الإسلام البلقيني، وكذلك على ابنه علم الدين البلقيني. عدا عن ذلك، فقد درس أيضا فنونا مختلفة مثل التفسير، واللغة العربية، والمعاني، على العلامة أستاذ الوجود محي الدين الكافجي لمدة أربعة عشر عاما، وحصل السيوطي على شهادة منه. وفي الطريقة إلى الدراسة، سافر إلى الفيوم، والمحلة، والدمياط، والشام، والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب.^٥ أما معلمونه الآخرون كمال الدين ابن الحماد، وعشرة المناوي، ومن النساء تعلم على عائشة بنت عبد الهادي، وسارة بنت السراج بنت جمعة، وزينب بنت الحافظ العراقي، وأم الفضل بنت محمد المقدسي.^٦

^٣ جلال الدين السيوطي، الرسالة السلطانية...، ٢.

^٤ Muhammad Isma'il Shaleh Batubara, "Konsistensi Imam Jalaludin As-Suyuthi menafsirkan ayat" *Tesis* (Medan: Universitas Islam Negeri Sumatera Utara, 2016), 18.

^٥ جلال الدين السيوطي، الإتقان...، ٥.

^٦ جلال الدين السيوطي، الرسالة السلطانية...، ٤.

وفي التاسع عشر من جمادى الأولى في ليل الجمعة سنة احد عشرة وتسعمائة توفى السيوطي في حضن الله ودفن بحوش قوصون، خارج باب القرافة بالقاهرة. وبكتبه التي يرجع اليها الباحثون في كل جيل من الزمان، لم ينقطع عمله بعد وفاته.^٧

وقد ألف السيوطي في حياته كتباً كثيرة في أشياء مختلفة. كالكتاب عن القرآن، والحديث، واللغة، والشريعة، وغيرها. ألف السيوطي كتابه الأول بعنوان "شرح الإستعاذة والبسملة" في عام ٨٦٦ من الهجرية، وهو في السابعة عشر من عمره. وفي عام ٨٧١ من الميلادية أصدر السيوطي أول فتوى. ومن هنا، بدأ بالإجابة على المسائل الدينية. وفتاواه يمكن ان توجد في كتابه "الحاوي".^٨

وفضلاً عن كونه كاتباً غزير الإنتاج، أصبح السيوطي معلماً في مدرسة الشيخونقة لمدة اثنتي عشرة سنة، وكان مفتياً لفترة طويلة. حصل السيوطي على لقب "الأستاذ" لما كان معلماً في مدرسة الشيخونية، ثم إنتقل إلى مدرسة البيبرسية و أصبح معلماً فيها. أطلق عليه في هذه المدرسة أيضاً لقب "الأستاذ"، ولكنه تخلى عن هذا اللقب في عام ٩٠٦ من الهجرية بسبب اتهامات وجهت إليه بأنه عالم يعارض حكومة المماليك التي تزامنت مع وجود الدولة الجراكسة في ذلك الوقت. وهذا أمر

^٧ عبد القادر أحمد عطا، أسرار ترتيب السور...، ٤٤.

^٨ جلال الدين السيوطي، الرسالة السلطانية...، ٦-٥.

مفهوم لأن السيوطي يبدو وكأنه لا يريد التورط مع الحكومة في المجال السياسي.^٩ كما يعرف السيوطي أيضا بأنه العلماء الحازم في موقفه ولا يجب أن يتلقى هدايا من الملك. ذات مرة، أعطي السيوطي ألف دينار من الملك الغوري بواسطة الجارية. ثم رفض السيوطي وأعاد الألف دينار على الفور ثم أعتاق الجارية.^{١٠}

وقد تلقى جلال الدين السيوطي ردودا كثيرة بشأن علمه من العلماء. كما وضح في الإتيقان، أنه من أصحاب الشخصية المميزة، وهو مهتم كبير في خدمة كنوز الإسلام في مجال العلوم، إلا أنه في حالتين متضادتين. وقد مدحه بعض الناس إلى أعلى درجة من العلماء، وذمه الآخرون إلى أدنى درجة.^{١١} وفي هذه الحالة، هناك علماء يعترفون بعلم السيوطي مثل محمد الشوكاني الذي يقول أن السيوطي امام متقن في مجال الكتاب والسنة، ومتقن للعلم الذي كان يقوم به الاجتهاد. وقال الشعراي في طباقته الصغرى كما ورد الشيخ عبد القادر أحمد عطاء، أنه وصل في الفقه إلى مرتبة الاجتهاد الداخلي في مذهب الشافعي، وأن لترجيحه رأيا على رأي حجة المجتهد.^{١٢} وقال الذهبي،

^٩Isma'il Shaleh, "Konsistensi Imam Jalaludin As-Suyuthi...., 22-23.

^{١١}Husnul Hakim Imzi, *Ensiklopedi Kitab-Kitab Tafsir (Kumpulan Kitab-Kitab Tafsir dari Klasik hingga Kontemporer*, (Depok: Lingkar Studi Al-Qur'an, 2019), 127-128.

^{١١} جلال الدين السيوطي، الإتيقان...، ٣.

^{١٢} عبد القادر أحمد عطاء، أسرار ترتيب السور...، ٤١.

أنه كان أعلم أهل عصره خاصة في علم الحديث وفنونه، مثل رجال، وغريب، ومتمن وسند، وفي استنباط للأحكام.^{١٣} وهناك من العلماء من ينتقد علم السيوطي، مثل السخاوي في كتابه التاريخي أن السيوطي سرق مؤلفات العلماء السابقين، مثل كتاب السيوطي التي تناولت علم الحديث الذي يعتبر بأنه سرق مؤلفات ابن حجر العسقلاني.^{١٤} ونقل قريش شهاب في مقدمة تفسير المصباح رأي محمد رشيد رضا في السيوطي الذي سماه "حاطب الليل" لأنه كان يعتبر أقل حرصا في جمع آراء العلماء في مؤلفاته.^{١٥}

ورغم كل ما ذكر أهل العلم اعلاه، إلا أن السيوطي معروف بأنه قوي في الحفظ منذ الصغر. ولا نقص مؤلفاته عن خمسمائة كتاب. بصرف النظر عن كونه مفسرا، كان السيوطي معروف أيضا بأنه محدث وكتب في الغالب كتبها عن الحديث. وكما ذكر حسن الحكيم إمزي (Husnul Hakim Imzi) في كتابه موسوعة كتب التفسير (Ensiklopedi Kitab-Kitab Tafsir)، هناك عدد من

^{١٣} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون جزء الأول (القاهرة: مكتبة وهبه)، ١٨٠.

^{١٤}Ica Fauziyah Husaini, "Tafsir ad-Dūr al-Mantsūr fī Tafsīr al-Ma`tsūr (Studi Deskriptif atas Metodologi hingga Aspek Pendekatan Interpretasi)", *Jurnal Mafatih* Vol. I, No. 1 (2021), 39.

^{١٥}M. Quraish Shihab, *Tafsir Al-Misbah: Pesan, Kesan dan Keserasian Al-Qur`an Jilid 1* (Jakarta: Lentera Hati, 2002), xxviii.

كتب الحديث للسيوطي حتى يبلغ عشرين كتاب. وهذا يدل على سعة علمه في مختلف العلوم.^{١٦}

وفي ما يلي عدد من الكتب التي ألفها السيوطي.

١. الإتيقان في علوم القرآن

٢. تفسير جلالين (هذا كتاب التفسير كتب مع أستاذه جلال الدين المحلي)

٣. الطب النبوي

٤. الجامع الكبير

٥. الجامع الصغير

٦. الدر المنثور في تفسير بلمؤثور

٧. ألفية الحديث

٨. تدريب الراوي

٩. تاريخ الخلفاء

١٠. الأشبه والنظائر

^{١٦}Husnul Hakim Imzi, *Ensiklopedi Kitab-kitab Tafsir...*, 158-159.

١١. شرح سنن ابن ماجة
١٢. الدباج على صحيح مسلم بن حجاج
١٣. أسباب الورود الحديث
١٤. تناسق الدرر في تناسب السور
١٥. إعراب القرآن
١٦. طبقات الحفاظ
١٧. لباب النقول
١٨. مشتهى العقول في منتهى النقول
١٩. شرح السيوطي على سنن النسائي
٢٠. طبقات المفسرين
٢١. تنوير الحوالك شرح موطاء مالك
٢٢. عقد الجمان في علم المعاني والبيان
٢٣. مفتاح الجنة في الإعتصام بالسنة

٢٤. معجم المؤلفات السيوطي

٢٥. طب النفوس

٢٦. الرحمة في الطب والحكمة

وفي كتابه الإتقان في علوم القرآن، شرح السيوطي كثيرا من النظرية المتعلقة بمناسبة القرآن.

وقد سبق هذا بيان الشرح في نوع الثاني وستين في المناسبة الايات والسور. وكما أوضح السيوطي

أن فائدة مناسبة القرآن هو جعل الأجزاء بين الايات متربطة حتى تقوي العلاقة بين الايات.^{١٧}

ويشرح السيوطي القواعد العامة للمناسبة عند المتأخرين، وهي الإهتمام بمقصد السورة العام من

خلال ايات المقدمات و سير الكلام في تلك السورة. وأما معرفة سير الكلام في الايات الإفتتاحية،

فتحتاج إلى منهج البلاغة.^{١٨}

وكما قال السيوطي فإن عادة القرآن إذا ذكر أشياء تتعلق بأعمال البشر عند ذكر يوم

القيامة، فإن الذكر يقترن بذكر أشياء تتعلق بقوانين في الدنيا التي ستحاسب في الآخرة، إما فعل

^{١٧} جلال الدين السيوطي، الإتقان...، ٤٧١.

^{١٨} جلال الدين السيوطي، الإتقان...، ٤٧٣.

عمل أو ترك عمل.^{١٩} وأما سبب المناسبة إذا لم يكن عطفًا بين ايتين أو جملتين، فإنه عند السيوطي يتبين من العلاقة التي تدل على وجود المناسبة. وكما يلي، العلاقات سببا لوجود المناسبة.

١- التنظير: فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء، كقول الله تعالى: **أُولَئِكَ هُمُ**

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ عقب قوله **أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**

لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. فإن الله تعالى أمر رسوله في الغنائم على كره من

أصحابه، كما أمر في الماضي لخروج من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون. أن كرهاهم من

قسمة الغنائم ككرهاهم للخروج، وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام،

فكذا يكون فيما فعله في القسمة. فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم.

٢- المضادة: كقوله في سورة البقرة: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ**

تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. فإن أول سورة كان حديثنا عن القرآن، وأن من شأنه الهداية للموصوفين بالإيمان.

فلما أكمل وصف المؤمنين، عقب بمحديث الكافرين. وحكمت المضادة للثبوت على الأول، ونقل

القول "وبضادها تتبين الأشياء".

^{١٩} جلال الدين السيوطي، الإتيان...، ٤٧٤.

٣- الاستطراد: كقول الله تعالى لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا

الْمَلِيكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا. إن في أول

الكلام رد القرآن على النصارى الزاعمين بنوة المسيح عيسى، ثم استطرد للرد على العرب الزاعمين

بنوة الملائكة.

وفي رأي السيوطي أن من أنواع المناسبة بين السور غير المناسبة بين خواتم السور وافتتاح السور

التي تليها، المناسبة بين فواتح السور ذات الحروف المقاطعة والمناسبة بين أسماء السور مقاصدها. مثال

للمناسبة بين فواتح السور بحرف المقاطعة ومحتوياتها كما في سورة "ق" التي ورد فيها الكثير من

الكلمات التي تحتوي على حرف "ق" مثل ذكر المخلوقات في القرآن، والتكرار الكلمات باستمرار،

ومراقبة الملكين، وغيرها. بينما مثال للمناسبة بين أسماء السور ومقاصدها كما في سورة الإسراء التي

فيها أحداث الإسراء والمعراج التي تسببت في اتهام النبي بالكاذب من قبل المشركين. فالكذب عليه

مثل الكذب على الله، لذلك تبدأ هذه السورة بالتسيحة تنزيها له من الكذب المنسوب إليه.^{٢٠}

^{٢٠} جلال الدين السيوطي، الإتقان...، ٤٧٧-٤٧٩.

ب. كتاب تناسق الدرر في تناسب السور لجلال الدين السيوطي

هذا الكتاب هو أحد الكتب التي ألفها جلال الدين السيوطي في علوم القرآن. وقد ألف

هذا الكتاب خصيصا لبيان العلاقة بين المواضع ونقاط المبحث في كل سورة بناء على ترتيب

المصحفي. فالإسم الأصلي لهذا الكتاب هو "تناسق الدرر في تناسب السور" رجوعا إلى قول

السيوطي في الإتيان "...وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف، سميته تناسق الدرر

في تناسب السور".^{٢١} وقوله في مقدمة هذا الكتاب "...وقد كنت أولا سميته "نتائج الفكر في تناسب

السور" لكونه من مستنتجات فكري كما أشرت إليه، ثم عادلته وسميته "تناسق الدرر في تناسب

السور" لأنه انسب بالمسمى وأزيد بالجناس".^{٢٢}

حقق هذا الكتاب عبد القادر أحمد عطا، وإذغ حسبت على عدد صفحات كتاب التحقيق

فهي مائة وتسع وخمسون صفحة شاملة الفهرس ومقدمة المحقق. وذكر في مقدمته أنه عثر على

مخطوطة يتعقد أنها المخطوطة الأصلية لهذا الكتاب، يبلغ مجموعها اثنتين وثلاثين صفحة تتكون من

^{٢١} جلال الدين السيوطي، الإتيان...، ٤٧٠.

^{٢٢} جلال الدين السيوطي، تناسب الدرر...، ٥٥.

ثمانية وعشرين إلى اثنين وثلاثين سطرا، كتب بخط النسخ أو الفراسي. وقد وجد هذه المخطوطة بدار

الكتب الإسلامية بالقاهرة.^{٢٣}

كما قال السيوطي في كتاب تناسق الدرر، أن هذا الكتاب مناقشة خاصة مأخوذة من كتابه

المسمى أسرار التنزيل الذي فيه عشرة أنواع من المباحث في ترتيب القرآن.^{٢٤} ولكن لسوء الحظ،

بحسب المحقق، فهو شخصا لم يعثر على كتاب أسرار التنزيل للسيوطي، ولم يجد إلا كتاب أسرار

التنزيل للرازي. ويقدم المحقق أن السيوطي أراد أن يكما كتاب أسرار التنزيل للرازي، أو احتمال اخر،

أنه ربما كتب كتابا بهذا الإسم ولكن المنقشة غير متكاملة. وبالإضافة إلى ذلك، يقول المحقق، هناك

إحتمال ان يكون كتاب أسرار التنزيل للسيوطي قد إكتمل ثم اختفى مع كتب اخرى، أو أن هناك

أمناء المكتبات ورثوا الكتاب خاصا وحفظوه به.^{٢٥}

وأوضح محقق أهمية دراسة هذا الكتاب، لحاجة إلى دراسة التراث (الكتب الكلاسيكية).

بالإضافة إلى ذلك، فإن إحدى المشكلات من رأي المحقق أهميتها هي أن كتب التفسير الكلاسيكية

أغفلت جوانب أخرى التي لا تقل أهميتها عن مجرد التفسير، مثل ترتيب السور ومقاصد السور،

^{٢٣} عبد القادر أحمد عطا، أسرار ترتيب السور...، ٤٤.

^{٢٤} جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر...، ٥٤.

^{٢٥} عبد القادر أحمد عطا، اسرار ترتيب السور...، ٤٦-٤٥.

وعجائب الأساليب، والتكرار في القرآن. ولذلك فأن وجود هذا الكتاب يساهم أيضا في تقديم

الرأفة والمساعدة في الإجابة على الأسئلة المتعلقة بترتيب السور، وإن هذا الكتاب أيضا دليل على أ،

ترتيب السور توقيفي، وأن القرآن وآياته وحي كامل من الله تعالى لا يتعارض مع أفعال البشر.^{٢٦}

^{٢٦} عبد القادر أحمد عطا، اسرار ترتيب السور...، ٤٧.